المكيون معه يشكلون ندّاً له. لقد آن أوان الزحف على مكة وفتحها. وكانت اللحظة ملائمة؛ فقد طلب منه حلفاؤه النجدة، ففعل. واستسلمت مكة دون مقاومة تقريباً.

بعد ثماني سنوات من المقاومة، اقتنعت الأرستقراطية المكية بعبثية صراعها مع الرسول، واستسلمت مكة للإسلام ونبيه. لقد فشلت القيادة المكية في تنظيم نفسها وتوحيد صفوفها ضد مااعتبرته العدو في المدينة. فالتركيبة الاجتماعية في مكة، سياستها الداخلية، والتنافس بين المتطلعين البارزين إلى السيادة فيها، جعلت من المستحيل على أيٍّ من تلك المجموعة أن يتولى زمام القيادة على بطون مكة المختلفة[٣٦]. وعلى هذا الصعيد، كان الوضع في مكة، في هذا الفصل من تاريخها، يشبه إلى حد بعيد الوضع في المدينة عشية مناشدتها الرسول القدوم إليها وتولي القيادة فيها. وخلال ثماني سنوات من الصراع مع الرسول، لم يستطع المكيون إنتاج ذلك النمط من القيادة اللازمة للتعامل بنجاح مع التهديد المتعاظم لتجارتهم، ديانتهم، تركيبتهم الأجتماعية، وحتى موقعهم بين العرب. لم يمتلك أحد من المكيين القوة، الهيبة، أو الحنكة السياسية، ليضاهي الرسول كقائد سياسي، ناهيك عن النبوة. وفي الحجاز، كان الرسول فقط يمتلك من القوة والتأثير مايؤهله للسيادة في المنطقة. وفي مسار تحقيق هدفه، قاتل الرسول أهل مكة بنجاح وتغلب عليهم، مثبتاً بذلك آهليته لتلك السيادة. بالمقابل، فالإحباط في معسكر المكيين، من جهة، والأداء المتميز لأصحاب الرسول، من جهة أخرى، أوصلا عدداً من قادة مكة البارزين إلى القناعة بأن من مصلحتهم الالتحاق بالمسلمين.

والخلاف بالرأي فيما يتعلق بالموقف من الرسول قد برز مبكراً،